



جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

دكتوراه لغة: أ.د. أمل صالح مهدي

عنوان المحاضرة : العلة النحوية عند الجليس النحوي

المحاضرة الثامنة

الجليس النحوي:

لقد جاء الحديث عن حياة **الجليس النحوي** منثوراً في عدد من المؤلفات التي اهتم أصحابها بالتراجم والسير، إذ قيل: هو أبو عبدالله الحسن بن موسى بن هبة الله الدّينوري، الإمام المقرئ النحوي المعروف بـ "**الجليس النحوي**", كتابه "**ثمار الصناعة**", وذكر أنه لقب بهذا اللقب يرجع إلى ما يتمتع به الكاتب من لطف العبارة، وسهولتها، وإيجازها بأقل الألفاظ حتى صار كتابه جليساً يؤنس به، توفي (494هـ) في أغلب الروايات.

التعليل النحوي عند الجليس النحوي:

أنّ التّعليل النّحويّ من أهمّ ما يميّز منهج **الجليس** إذ يصف الاستعمال اللغويّ، ثمّ يقدّم التّعليل، وهذا يظهر عمق التّفكير النّحويّ لديه، ومن ذلك قوله عن المضمّر: "المضمّر لا يوصف؛ لأنّه لم يضمّر إلّا بعد أن عُرِف لتقدّم ذكره، أو لدلالة الحال عليه، فاستغني عن وصفه" ومنه كذلك قوله في أثناء حديثه عن استعمال "مذ" و"منذ": "ومنهم من يجرّ بهما جميعاً القريب ويرفع بعدهما البعيد، إلّا أنّ استعمالهم لـ "مذ" في البعيد أكثر، مثل: "ما رأيته مذ مدة"؛ لأنّها أقعد في الاسميّة، واستعمالهم لـ "منذ" في القريب أكثر، مثل: "ما رأيته منذ البارحة"؛ لأنّها أقرب إلى الحرفيّة، ومن ذلك قوله أيضاً عند حديثه عن "من..": "وأما حروف الجرّ كلّها، أو أكثرها دخولاً في الكلام لتوسّعهم فيها" من "ولذلك دخلت دون سائر أخواتها على" عند، تقول: من عنده. ولا تقول: مضيت إلى عنده، وإنّما امتنعت" عند "من ذلك؛ لأنّها أشدّ ظروف المكان إيهاماً إذ كانت لا تخصّ جهة واحدة، بل تصلح للجهات كلّها"، أمّا العلل التي تحدّث عنها، ومثّل عليها، فقد جعلها ثلاث وعشرين علّة في صنفين، هما:

الأول : صنف يتضمّن العلل التي تطرّد على كلّ كلام العرب، وتتساق إلى قانون لغتهم.

الثاني : صنف يتضمّن العلل التي تظهر حكمتهم في أصوله، وتكشف عن صحّة أغراضهم، ومقاصدهم في موضوعاته.

ولقد تحدّث عن هذه العلل حديثاً مفصّلاً ، ولا سيما الأكثر شيوعاً منها، ويُسجّل له تفرّده بتقسيمها، وتفريعها بشكل لم يوجد عند غيره من الذين سبقوه، ولا من الذين أتوا بعده، وقد شهد له بهذا غير واحد من العلماء، مثل: **اليمني، والفيروزآبادي، والسّيوطي**، فقد قال هؤلاء جميعاً: إنّهم لم يعرفوا صاحبها لها قبل الدّينوريّ، وقال **الجليس** عن اهتمام النّحاة بالعلل: " وهم للأولى أكثر استعمالاً ، وأشدّ تداولاً، وهي واسعة الشّعب كثيرة الافتتان ، وهذه العلل، هي: **علّة سماع**، كقولهم : امرأة تُذيّء، ولا يقال رجل أثنى . ليس لذلك علّة سوى السّماع، **وعلّة تشبيه**. مثل اعراب المضارع لمشابهته الاسم، وبناء بعض الأسماء، **وعلّة استغناء** : كاستغنائهم بـ" ترك " عن " ودع " وكحذف كل من المبتدأ والخبر فيما يجب حذفه فيه . استغناء عنه بما قام مقامه، مثل: "أزيد قائم؟ نعم" في جملة الجواب . **وعلّة استئصال**: كاستئصالهم الواو في " يوعِد " لوقوعها بين ياءٍ، وكسرةٍ، **وعلّة فرق**: وذلك فيما ذهبوا إليه من رفع الفاعل، ونصب المفعول، وفتح نون الجمع، وكسر نون المثني. وكتجرّد خبر أفعال الشّروع من " أن " وكثرة لحاقها لخبر أفعال الرّجاء. **وعلّة توكيد**: مثل إدخالهم النّون الخفيفة، والتّخيلة في فعل الأمر لتأكيد إيقاعه، كما في " ليسجننّ) **وعلّة تعويض** :مثل تعويضهم الميم في " اللّهمّ " من حرف النّداء . **وعلّة نظير** : مثل كسرهم أحد الساكنين إذا التقيا في الجزم، حملا على الجرّ إذ هو نظيره، وكحمل بعض الأفعال على الأفعال الناقصة لكونها نظيرتها في عدم حصول الفائدة بمرفوعها فقط .،مثل "كان" الناقصة والتامة، **وعلّة نقيض** :كإعمال " لا " النافية

عمل "إن" فإنَّ (لا) لتأكيد النفي، و(إن) لتأكيد الإثبات، مثل " لا رجل في الدار".

وعلة حمل على المعنى : كتنكير الفعل الذي فاعله مؤنث مثل قوله تعالى: " فمن جاءه موعظة "سورة البقرة: 275، فقد ذكّر فعل الموعظة وهي مؤنثة حملا لها على المعنى وهو الوعظ . أو هو ما عبّر عنه النحاة بالعطف على المعنى، والجرّ على التّوهم، وغير ذلك. **وعلة مشاكلة** : أي لفظية، وهو المعروف بالازدواج والتّناسب، كتّوين غير المنصرف لمجاورته للمنصرف كما في قراءة بعض القرّاء: "سلاسا وأغلا لا " سورة البقرة: 275 . **وعلة معادلة** : مثل جرّهم ما لا ينصرف بالفتح حملا على النّصب، ثم عادلوا بينهما، فحملوا النّصب على الجرّ في جمع المؤنث السّالم . **وعلة قرب ومجاورة** مثل جرّهم " خرب " في قولهم : هذا جُحُرُ ضب خرب، لمجاورته لـ"ضَبّ " المجرورة، وكضم لام(لله) في (الحمد لله) لمجاورتها الدّال المضمومة، **وعلة وجوب** : كانقلاب كلّ من الواو والياء عند تحركه وانفتاح ما قبله، مثل: ميعاد، وموعد، **وعلة تغليب** : كقوله تعالى: "وكانت من القانتين " سورة التّحريم: 12 ، وكقولهم: العُمَريّن . والتّغليب يكون إما للكثرة، وإما للتّذكير، وإما للتّخفيف، **وعلة اختصار** : مثل باب التّرخيم، وحذف النّون من مضارع" كان "المجزوم، **وعلة تخفيف**، كالإدغام، ومثل نقل حركة الهمزة في مثل : "يرى" إلى الحرف الساكن الذي قبلها، ثمّ حذفها للتّخفيف، **وعلة أصل** : كصرف ما لا ينصرف، وعلة أولى : كقولهم إن الفاعل أولى برتبة التّقديم من المفعول، **وعلة دلالة** **حال** : كما في حذف العامل من قولك :الهِلال .أي :هذا، إذا رفعته، أو :انظر، إذا نصبته، **وعلة إشعار** : كقولهم في جمع مُوسَى، موسون، بفتح ما قبل الواو اشعاراً بأنّ المحذوف ألف . **وعلة تضادّ** : مثل قولهم في الأفعال التي يجوز إلغاؤها متى تقدّمت وأكدت بالمصدر، أو بضميره، لم تلغ لما بين التّأكيد، والإلغاء من التّضادّ ، مثل: " محمدٌ ظننْتُ ناجحاً"، **وعلة تحليل** : كالاستدلال على اسميّة " كيف "بنفي حرفيتها، مثل:

"كيف ذهبت إلى المدرسة"؛ لأنها مع الاسم كلام، ونفي فعليتها لمجاورتها الفعل بلا فاصل ، والنّاظر في حديث الجليس عن العلل هذه يجده قد تحدّث عن الصّنف الأوّل منها، لكنه لم يتحدّث عن الصّنف الثّاني، أمّا النّوع الثّاني من هذه العلل، وهي التي وصفها بقوله : "علل تظهر حكمتهم في أصوله، وتكشف عن صحّة أغراضهم ومقاصدهم في موضوعاته"، فإنّه لم يتحدّث عنها، إلا أنّ ابن السّراج كان قد أشار إليها، وسماها "**علّة العلة**" فقال : "واعتلالات النّحويين على ضربين : ضرب منها هو المؤدّي إلى كلام العرب، كقولنا: كلّ فاعل مرفوع. وضرب آخر يسمّى "**علّة العلة**"، مثل :أن يقولوا : لم صار الفاعل مرفوعاً ، والمفعول منصوباً ؟ ولم إذا تحرّكت الياء واو كان ما قبلهما مفتوحاً قلبتا ألفاً ؟ وهذا ليس يكسبنا أنّ نتكلّم كما تكلمت العرب، وأنّما تستخرج منه حكمتها في الأصول التي وضعتها ويتبيّن به فضل هذه اللغة على غيرها من اللغات.

بعض الآراء النحويّة التي ذكرها في كتابه "ثمار الصناعة".

يُذكر أنّ للجليس النّحوي آراء انفرد بها عن غيره من النّحاة، وهي:

- 1- تفرّده بذكر العلل الثلاث والعشرين؛ وهي علل لم يذكر أنّها وردت عند غيره ممّن سبقه، ويجمع العلماء على نسبتها إليه.
- 2 - نسبته القول بحرفيّة (كان وأخواتها) للكوفيين.
- 3- ذكره ثلاثة معانٍ لـ "ظنّ" وقد اُزد في ذكره هذا واحداً زيادة على اثنين وردا عند غيره من العلماء.
- 4- قوله : إنّّه قد يعدّ من التّوابع ما تبع بالحكاية والمجاورة.
- 5- تفسيره الخشية بالعلم، في قوله تعالى: "إنّما يخشى الله من عباده العلماء" على قراءة رفع لفظ الجلالة (الله)، ونصب (العلماء).